

خطبة جمعة مرئية مفرغة ألقيت في مسجد الرباط بمدينة سرت بليبيا
ضمن جولة دعوية، وأنتجتها إذاعة التوحيد - سرت

لفضيلة الشيخ

تركي بن مبارك البنعلي

حفظه الله

الوفاء

الشريعة حياة

خطبة جمعة مرئية مفرغة ألقيت في مسجد الرباط بمدينة سرت بليبيا ضمن جولة دعوية، وأنتجتها إذاعة التوحيد - سرت

لفضيلة الشّيخ

تركي بن مبارك البنعلي

حفظه اللّه

1436 هـ | 2015 م



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إنّ الحمدَ للهِ؛ نَحْمدُه ونستعينُه، ونستغفِره ونسْتهديه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهده اللهُ فلا مضِلّ له، ومَن يضْلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلّا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، وصفيُّهُ وخليلُه، بلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونَصَحَ الأمَّة، وجاهد في سبيل الله حقّ جِهاده حتّى أتاهُ اليَقين، وتركنا رسول الله عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام على مثل البيضاء؛ ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالك، ولا يتنكَّبُها إلا ضالّ، **أما بعد:**

فإنّ خيرَ الكلامِ كلامُ الله، وإنّ خيرَ الهَدْيِ هَديُ محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، وإنّ شرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وقدْ أنزلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكتبَ، وأرْسَلَ الرُّسلَ؛ حتى يُخْرِجُوا العبادَ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ ربِّ العباد، يُخرِجُوا العبادَ من عبادةِ العبادِ، بكلِّ ما تحملُ كلمةُ العبادةِ مِن مَعنى، العبادةُ بأنواعِها؛ بألوانِها، بأقْسامِها بمراتِبها، يُخرجوا العِبادَ مِن عِبادةِ العبادِ إلى عِبادةِ ربِّ العباد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سواءً مِنها ما يتعلّقُ بالرُّكوعِ والسّجودِ، والدُّعاءِ والتّضرُّعِ، والخُشوعِ والإنابَة، أو كان مِنها ما يتعلّقُ بالحُكْمِ والقَضاءِ والتَّشْريعِ، كَما جَاءَ فِي حديثِ عديّ بن حاتِمٍ الطّائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مِن قولِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**"أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟" قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ"**» كما رواه الإمام الترمذيُّ وغيره(1).

يخرجونَهم إلى عِبادة ربِّ العبادِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحدهُ لا شَريكَ له، لا يُشركونَ مَعَهُ بشركِ القُبورِ، ولا شِركِ القُصورِ، ولا شِركِ الدُّثور، ولا شِركَ الدُّسْتور، فِي كلِّ شيءٍ وفِي كلّ الأُمورِ: يُوحِّدونَ الغَفورَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(1) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن/ سورة التوبة (5/ 278) برقم 3095، المعجم الكبير للطبراني (12/ 7) برقم 13673، واللفظ للطبراني.

وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما رَواهُ الإمامُ البُخاريُّ ومسْلمٌ؛ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مَرْفُوعًا قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»(2)مَن الذي يتولّى سِياسةَ بَني إسرائيل؟ هَل هُم الذين يُشَرِّعُونَ مِن دونِ الله؟ هل هُم الطَّواغيتُ؟ هل هُم الجَبابرة؟ «**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ تَسُوسُهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ كُلَّمَا ذَهَبَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَائِنٌ بَعْدِي نَبِيٌّ فِيكُمْ قَالُوا فَمَا يَكُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُوا**»(3)، إذًا الأنبياءُ بِماذا يَسوسُونَ أمَمَهُم؟ بِماذا يَسوسُون رَعاياهُم؟ أهِي بالقَوانِينِ الوضْعيةِ؟ أمْ بالكُتُب السَّماوية؟

يقُول الله جلّ في علاهُ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36]، والاجْتِنابُ أعْظَمُ مِنَ التَّرْك؛ فهُو غَاية فِي التَّرك، (**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت**)، والطَّاغُوتُ فَعلُوتٌ مِن الطُّغيان، وكلُّ ما جاوزَ حدَّه فهو طاغُوت، ومِنهُ طاغوتُ العِبادةِ، وطاغوتُ الطاعةِ، وطاغوتُ الحُكمِ، كما قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ.

قال اللهُ تَعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيْدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: 60] تأمّلوا فِي قول الله ﷻ: (**يُرِيْدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**)، ما قالَ: يعبُدوا الطّاغوتَ، بل قَال: (**يَتَحَاكَمُوا**)، قال العلّامةُ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فكُلُّ ما تُحُوكِمَ إليْهِ غيرُ الكِتابِ والسُّنة فهُو طاغوتٌ) (4).

إن دعوةُ الأنبياءِ جميعًا ودعوةُ المرسلينَ جميعًا: أن يُخرِجوا العبادَ من عِبادةِ العبادِ -بكلِّ ما تحملُ هذه الكلمةُ مِن معْنى- إلى عبادةِ ربِّ العبادِ ﷻ، وهكذا كان خير العباد صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ كان يحْكُم فِي أُمّتِه، يحْكمُ في رعيّته، بالقرآن، بالفرقان، ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا**

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل (3/ 1273) برقم 3268، ومسلم في كتاب الإمارة/ باب الوجوب ببيعة الخلفاء الأول فالأول (3/ 1471) برقم 1842.

(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد/ باب الوفاء بالبيعة (2/ 958) برقم 2871.

(4) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (28/ 201).

أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105]، فالقرآنُ لمْ ينزِلْ لكي يُعلَّق في الجُدْرانِ، ولمْ ينزِلْ لكي يُقرَأ بِهِ فِي المِحَارِيبِ فحسْب، وإنّما نَزَلَ حاكِمًا، نَزَل مُهيْمنًا و ﴿**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: 48] ثم قال: (**وَمُهَيْمِنًا عَلَيْه**)؛ مُهيمنًا على الكتبِ السَّماويَّةِ، فكيْفَ بالكُتُبِ الأرضيّة؟

هذا هو القرآنُ نزَل ليَحكُم لا ليُحكَم، يَحكمَ في كلّ شؤونِ العبادِ، في كلّ صغيرٍ وكبيرٍ، في كلّ عظيمٍ وحَقير، هكذا فَعَلَ النَّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم البشيرُ النذير.

لذلك لو تأمّلْنا وقلنا: كم حادثةٍ لسرقةٍ وقعتْ في عهدِ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ كم واقعةٍ للقذفِ وقعتْ في مدينته صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ كم واقعةٍ للزّنا حصلتْ في دولتهِ ﷺ؟ ثُمّ تقيسُ على واقعِنا المعاصرِ؛ كم وقائعُ القتلِ والسَّفكِ والانتهاك والانتقام؟ كم وقائعُ الزّنا، بل بحَليلة الجار، بلْ بالمحارمِ والعياذُ بالله؟ كم تلكَ الوقائعُ؟ كم السرقاتُ، الاغتصابُ، السفكُ، النّهبُ؟ حدِّثْ ولا حرج! ولكنْ في تلكَ الدولةِ التي حَكم النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيها بما أمرَ اللهُ لم يقعْ مثلُ ذلكَ، لماذا؟ لأنَّ الله ﷻ هو الذي خَلق العِباد، وهُو يعْلمُ ما يُصلحُهم ويصلحُ البلاد؛ ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: 14]؟! بلى وربِّ الكعبة!

﴿**قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**﴾ [البقرة: 140]؟! قل أأمْريكا أعلمُ أم الله؟ بِريطانيا أعلمُ أم الله؟ إيطاليا أعلمُ أم الله؟ فرنْسا أعلم أم الله؟ البعض يردد ويقول: الله الله، لكنّه بلسان المقال دُون لسانِ الحال، الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (لنْ يَصلُحَ أمْرُ آخِرِ هَذه الأمّةِ، إلا بِما صَلُحَ بِه أوَّلها) [5]، كيفَ صلح؟ بتحكيمِ شرعِ الله.

قيل لسلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَعَلَّمَكُم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلَّ شيءٍ حتى الخَراءة؟ قال: أجَل**» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني[6]، لقد علَّمَنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلَّ شيء، حتى الخراءة، أي: حتى آدابَ دخولِ الخَلاء، قضاءُ الحاجةِ؛ أَوَ يُعَلِّمُنا ذَلكَ ولا يُعلِّمُنا السِّياسة؟ لا يعلّمنا الحكمَ، لا يعلِّمنا مقاصدَ الإمامة، شروطَ الإمامةِ، بماذا يَحْكُمُ الإمَام؟ علّمنا صلى

(5) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 88).

(6) وهو في صحيح مسلم كتاب الطهارة/ باب الاستطابة (1/ 223) برقم 262.

الله عليه وعلى آله وسلم، ونحنُ نشهدُ أنّه بلّغ الرّسالةَ، وأدّى الامانةَ، ونصحَ الأمّة، وترَكَنا على مثلِ البيضاء؛ ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنْها إلا هالكٌ، ولا يتنكّبُها إلا ضالٌّ.

كيفَ وهو الذي يقول: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ**»(7) هكذا جاء في صحيحِ مسلمٍ، وجاءَ في غير الصحيحِ: «**وسنةِ نبيّه**»(8) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وعن أبي ذرٍّ ﵁ يقول: «**ترَكَنا رسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما مِن طائرٍ يطيرُ بِجناحَيْهِ في السّماءِ إلا أذكرنا مِنه عِلْمًا**»(9) رواه ابن حبان وأحمد وصححه شيخنا الألباني.

علّمَنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلَّ شيءٍ؛ فيما يتعلق بالعبادات، أو المعاملات، أو الحكم أو القضاء، ما من خيرٍ إلا ودلّنا عليهِ، وما من شرٍّ إلا حذَّرَنا منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هكذا سار النّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهكذا كانتْ دولتُهُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم الخلفاءُ من بعده ﵃، يقول النبي ﷺ؛ فيما رواه الإمامُ أحمدُ بمسنده، عن حذيفة وعن غيره؛ قال: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ ﷺ**» (10).

وروى الإمامُ ابن أبي شيبة ﵀ عن أنسِ بن مالك ﵁ أنّه قال: "يَكُونُ عليكُمْ الأمَراءُ ثمَّ الجَبابِرَةُ ثم الطَّواغيت" (11)، فيكون: أولًا الحكمُ بشريعةِ اللهِ، ثُمّ مرةً قال: تحكُمُ بِشريعةِ اللهِ لكنْ يشُوبُهُ بعضُ الظُّلْمِ، بعضُ الفسقِ، بعضُ الفجورِ، ثمّ الطواغيثُ، وقد مرّ معَنا أن مِن صورهم: الذينَ يحكمون بغيرِ شرع الله، بل

(7) صحيح مسلم كتاب الحج/ باب حجة النبي ﷺ (2/ 886) برقم 1218.

(8) أخرجه مالك الموطأ (2/ 899) برقم 1594.

(9) مسند أحمد بن حنبل (5/ 153) برقم 21399، صحيح ابن حبان (1/ 267) برقم 65.

(10) مسند أحمد (30/ 355) برقم 18406.

(11) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 254).

قال الشيخُ المجدِّدُ محمدُ بنُ عبدِ الوهّاب رَحِمَهُ اللَّهُ: "والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة –هؤلاء من رؤوس الطواغيت وليسوا من الطواغيت أو من جملتهم قال: وعدّها وذكر منها:– ومَنْ حَكمَ بغَيرِ ما أنزَلَ الله" [12].

هذه المراحل في الحكم بما أنزل الله، ثم حكم بما أنزل الله مع شيء من الظلم، ثم الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا الأمرُ قد أخبرَ به الصَّادقُ المصدوقُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي ﴿**مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: 3، 4] – في أحاديث كثيرةٍ؛ منْها ما رواهُ الإمامُ ابنُ حِبَّانَ في صحيحِه وصحّحَه الشيخُ الألبانيُّ، عنْ أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ**»[13]، وهذا الذي نرَى أنّ كثيرًا مِنَ المسْلمينَ يُصلّي ويصومُ ويُزكّي ويَحِجُّ ويَعْتمر، ولكنْ إذا جاءَ إلى الحُكمِ: حَكَمَ بِغَيْرِ ما أنزلَ اللهُ، أو تَحاكمَ إلى غيرِ شرْعِ الله، ولا حَول ولا قُوّة إلا بالله.

فأولها انتقاضًا: الحكم، وآخرها انتقاضًا: الصلاة، كذلكَ رَوى الإمامُ الطّبرانيُ وابن أبي شيبةَ عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنّه قال: «**أَلا إِنَّ رَحَى الإِسْلامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلا إِنَّهُ سَيَكُونُ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ مَوْتٌ فِي طَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» [14].

وقد أخبرَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**إنَّ الكِتَابَ والسُّلطانَ سيفْترِقان، فَلا تُفارقوا الكِتاب**)، كُونُوا مِن أنْصارِ الكِتاب، كُونوا من دُعاة الكِتاب، كُونوا مِن العاملينَ بالكِتاب، المحَكِّمينَ للكتاب، ولا تكُونوا معَ الطَّرفِ الآخرِ فتهْلَكُوا .

---

(12) الأصول الثلاثة (ص: 15).

(13) مسند أحمد عن أبي أمامة الباهلي (36/ 485) برقم 22160، والمعجم الكبير للطبراني (7/ 103) برقم 7359.

(14) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير عن معاذ بن جبل (2/ 43) برقم 749.

إن فِي غير حُكم اللهِ، في تحكِيم غير شرعِ الله: الهَلَكَة والدَّمار، سواءٌ الدّمارُ الحسّيُّ أم المعْنوي، اللهُ ﷻ يقول: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: 16]، وقرأَ أبُو عُثْمانَ النَّهْديُّ رَحِمَهُ اللهُ وأبو رجاءٍ وأبُو العَاليَةَ ومُجَاهدُ والحَسَنُ[15] (أمّرْنَا) بالتَّشْدِيد، وهي قراءةُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أي: (**وإِذَا أرَدْنَا أنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمّرْنَا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيْهَا فحقَّ عليْهَا القَولُ فدمَّرنَاها تدْمِيرًا**)؛ أيْ جَعَل الله ﷻ الإمْرَةَ للفَسقَةِ، والفُسَّاقِ يحْكُمُونَ بالفِسْقِ، وأعظْم فِسقٍ: هُوَ الحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أنْزَلَ الله.

أَلَمْ تسْمَعُوا بِقَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: 47]؟ إذًا فالدّمَارُ والشَّنَارُ والعارُ في الحكمِ بغير ما أنْزَلَ الغفّار ﷻ، وأمَّا الحياةُ الدنْيويةُ والبرْزَخِيَّةُ والأُخْرَوِيَّةُ؛ فَهِي بالحُكْمِ بكتابِ الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال: 24]، قَال قتادةُ رَحِمَهُ اللهُ: (**لِما يُحْيِيْكُمْ**) "أي القرآنُ، ففيهْ النجُاة وفِيْهِ الحَياة"[16]، فالحَياةُ الحقيقيةُ ليستْ فِي أموالِ أوروبا ولا في تَوْجيهاتِ أمريكا؛ وإنما الحياةِ الحقيقية هي في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**اسْتَجِيْبُوا للهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيْكُمْ**).

هذا أولًا: الحكم بشرع الله فيه الحياة.

وثانيًا: الحكمُ بشرعِ اللهِ فيه العزَّةُ فيه، الأنَفَة، فيه الرِّفْعَةُ، فيه العلوُّ! ألَمْ تسْمَعُوا لقوْل الله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾ [الأنبياء: 10]؟

قال العالِم النِّبْراسُ عبدُ الله بنُ العبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (**فِيْهِ ذِكْرُكُمْ**)؛ أي: "فِيْهِ شَرَفُكُمْ"[17]، (**فِيْهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُوْن**)، هكذا قال الله ﷻ؛ فالعزَّةُ فِيْ شرْعِ الله، في تحكيم شريعة الله ﷻ في العِبادِ وفي البلاد، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيما رواه الإمام أحمدُ في مُسْنده والبخاريُ في الأدبِ المفرد: «**مَنْ تعزَّى**

---

(15) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص: 214)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (ص: 3787).
(16) تفسير الطبري (13/ 465).
(17) تفسير ابن كثير (5/ 334).

بِعَزَاءِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ: فَأَعْضُّوهُ بِهَنِ أبيه ولا تُكَنُّوا»[18]، أي: مَنْ طلبَ العزَّة في عزاءِ أهلِ الجاهليةِ، ما تَتعزَّزَ به أهلُ الجاهليةِ، سواءً كانتْ الجاهليةَ الأولى أم المعاصرةَ (**أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ**)، مَن طلبَ العزّة في غير شرع الله كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**من تعزّى بعَزَاءِ أهلِ الجاهليّة**)؛ مَن تعزّى بالدّيمقراطية، بالاشتراكية، بالشيوعية، بالعلمانية، باللبرالية: فأعضوه بهَنِ أبيه ولا تُكنّوا، هكذا تقبيحًا لهُ وتخسيسًا لفعله .

فهذا عُمرُ هذا الفاروقُ ﷺ، كما روى ذلك الإمام الحاكم ﷺ؛ قال: (إنّا كنّا أرذَلَ القوْمِ فأعزَّنا اللهُ بالإسلام، فمهما ابتغَيْنا العزّة في سواهُ أذلّنا الله ﷻ)[19]، فمَن كان يريدُ العزّة فلله العزّةُ جميعًا .

ففي شرع الله الحياة هذا أولًا، وفي شرع الله العزة ثانيًا، وفي شرع الله الأمان ثالثًا.

تنظُرونَ في سيرةِ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله سلم؛ كانَ المسلِمونَ على قلّتهم وعلى قلّةِ عَددهمْ وعُدَدهم؛ إلّا أنّهم يأْمَنُون لِماذا؟ لأنهم يحكّمونَ شرع الله ﷻ.

يقول الله جل في علاه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: 82] فَمَنِ الذين هم الأمن؟ (**الّذِيْنَ آمَنُوا ولَمْ يلبِسُوا إيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**)، ومِنْ أعْظَمِ الظُّلمِ وأشْنَعِ الظُّلْمِ: الحُكْمُ بِغَيْرِ شَرْعِ اللهِ، وإنْ أسْمَوْهُ عدْلًا، وإنْ سَمَّوْهَا وزَاراتِ العدْلِ أو مَحاكِمِ العدْلِ أو مَحْكَمَةِ العدْلِ الدَّولية، هي الظلم بعينه ورأسه، قال اللهُ تعالى: (**وَمَنْ لَمْ يحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولئكَ**) هُمُ العَادِلُون؟! لمْ يقُلْ كَذلك ﷻ: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: 45] فالظُّلْمُ في الحكم بغيرِ الشريعة، فكيفَ بعد ذلك يُرْتجى الأمنُ والأمانُ؟ (**الّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئكَ لَهُمُ الأمْنُ**).

---

(18) الأدب المفرد (ص: 334) برقم 963، ومسند أحمد بن حنبل (5/ 136) برقم 21274.

(19) المستدرك (1/ 130) برقم 207.

لذلكَ تَرَوْنَ ونَرى هذه الاغتِيالاتِ، القَتْلَ، القتالَ، الانتهاك، الانتقام، كلُّه في غيابِ ظلِّ السلطانِ الشرْعِي، ظِلِّ الشريعةِ التي اختفت من الأرض إلا جزءًا يسيرًا، إذًا: (**الّذِيْنَ آمَنُوا ولَمْ يلبِسُوا إيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئكَ لَهُمُ الأمْنُ وهُمْ مُهْتَدُون**)، روى الإمام ابن ماجه رحمه الله وحسّنه الألباني من حديثِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنّه قال: «**وَمَا حَكَمَتْ أَئِمَّتُهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إلّا جَعَلَ اللهُ بَأسَهُمْ بَيْنَهُم**»[20]، هذا هو الواقع المريضُ الذي نعيشُه في ظلِّ غيابِ الشَّريعة.

إذًا أولًا: في شرع الله العزة، ثانيًا: الحياة، ثالثًا: الأمان؛ فلا أمن ولا أمان إلا بإيمان، لا سلامة إلا بإسلام، وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في رسله إلى الملوك والحكام: «**أَسْلِمْ تَسْلَمْ**»[21] كما في الصحيحين؛ أي: تسلم في الدنيا وفي الآخرة، متى؟ عند أخذك بالإسلام بشمولية: ﴿**ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: 208]، ليس فقط في المحاريب، ليس فقط في المساجد، وإنما في كل شيء.

كذلك في حكم الله، الغِنَى والرَّخاءُ والنّعيمُ والسَّعة، ألم تسمع لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾ [المائدة: 66]؟ أقاموا أي: حَكَمُوا لو أنَهم حَكَمُوا بِكِتابِ اللهِ لرَزَقَهُمُ اللهُ سبحانه وتعالى، وفتحَ عليهمْ مِن الخيراتِ، ومن البركات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: 96، 97]، فإذًا: هذه الخيراتُ وهذه البركاتُ متى؟ عندما يؤمنُ أهْلُ القُرى ويتَّقون اللهَ ويُحَكِّمُونَ شرع الله سبحانه وتعالى، كذَلِكَ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجن: 16])، متى يُسْقَوْن هذا الماء؟ إذا سارُوا على الطّريقة، أيُّ طريقةٍ تلك؟ هل طريقةُ العَلمانيينَ، أم طريقةُ الليبراليّين، أم طريقةُ الدِّيمقْراطِيّين؟ لا، وإنّما هي طريقةُ النّبي الأمينِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، طريقةُ الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**﴾ [البقرة: 137]، يقول النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسنَّةِ الخُلفاءِ الرّاشدينَ من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإياكم**

(20) سنن ابن ماجه كتاب الفتن/ باب العقوبات (2/ 1332) برقم 4019.

(21) عند البخاري في باب كيف كان بدء الوحي (1/ 7) برقم 7، وعند مسلم في كتاب الجهاد والسير/ باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (3/ 1393) برقم 1773.

ومحدثاتُ الأمور -ومِن مُحدثاتِ الأمُورِ: الحُكمُ بالقوانينِ الوضعيّة الوضِيعةِ، وتركُ الأحكام السّماويةُ الوضِيئةُ- **وإيّاكم ومُحْدثاتُ الأمورِ؛ فإنّ كلّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلّ ضلالةٍ في النّار**»، كما روى ذلك الإمامُ التّرمذيُّ[22] من حديثِ العرباضِ بن سارية ﷺ.

﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾؛ فالخيرُ والغِنَى في تحكيمِ شرع الله ﷻ، وليسَ هُوَ مَا يَعِدُ به الأمْريكانُ والبريطانيُّون وغيرهم؛ يَعِدُونَ الشعوبَ المسْلمةَ الفَقِيْرَةَ بِأنَّهم لو حَكَمُوا بقوانينِهم لأغْدقُوا عَليهِم من الأموالِ.

يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما روى ذلك الإمام الطبراني في المعجم الكبير، وحسّنه الألباني عن ابن عباس ﵄؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**خَمْسٌ بِخَمْسٍ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ - فعدها رسول الله ﷺ وذكر منها: **وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إلا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ**»[23]، مهما وعدَهُم الكفّارُ، مهما وعدهم الغرب أو الشّرق، هذا النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، الصّادق المصْدوقُ المصدَّق صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (**ومَا حَكَمُوا بغيرِ ما أنزل اللهُ إلا فَشا فيهِم الفَقْر**)، إذًا: هذه العزة، وهذا الأمان، وهذه الحياة، وهذا الرخاء؛ كلّه في شرعِ الله، وكله في تحكيم شرع الله، والعكسُ بالعكسِ، كما قال الله تعالى: ﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: 124]، إذًا الضِيّقُ والضَّنَكُ والتَّشْدِيْدُ والتَّعْسِيْرُ: إنَّما هُوَ في الحُكْمِ بغيرِ شَرْعِ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ ﷻ.

أقولُ ما تسْمَعُونْ، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(22) سنن الترمذي كتاب العلم/ باب الأخذ بالسنة وجتناب البدع (5/ 44) برقم 2676، وقال: حديث صحيح.
(23) المعجم الكبير (9/ 257) برقم 10830.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمْدًا حمدًا، والشُّكرُ له ليسَ لهُ عدًّا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من بَنَى الإسلامَ وهدَّ الكفْر هدًّا، وعلى آله وصحبه، مَن حَكَّمُوا الشَّريعةَ وأقامُوا الحَدَّ، **أما بعد:**

فكلُّنا ذلكَ الرجلُ الذي يقرأ في كل يوم، بل في كل صلاة، بل في كل ركعةٍ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: 1 - 3]، في قراءة سبْعية[24]، وفي قراءة سبْعيةٍ أخرى: (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ**) (**مَلِكِ**)، هُوَ الّذي يتَصرَّفُ في الشّيء وإن لم يكن مالكًا له، و(**مَالكِ**): هُو الذي يَمْلِكُ الشَّيءَ وإنْ لم يكنْ يتصرّفُ فيه، فالله جل في علاه هو مَلِكُ ومَالِكُ يَوم الدّين؛ هو يملك يومَ الدّين ومالكُ يوم الدين، ملِكٌ ومالكٌ ﷻ؛ لذلكَ كانَ بعض السلف ﷺ كالإمام أبي شامة ﵀؛ كان يحبُّ القراءةَ بهذه مرة وبهذه مرة، بهذه في إحدى الركعات، وبهذه في الركعة الأخرى، يقرأُ بـ (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ**) في ركعةٍ، ويقرأُ بـ (**مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ**) فِي رَكْعةٍ، فإذا كان الله جل في علاه مالكَ وملكَ يومِ الدّين؛ أفلا يكونُ مالكَ وملكَ هذهِ الحياةِ الدُّنيا؟ بلى، وربِّ الكعْبةِ، كيف يكونُ لله الملكُ يوم القيامةِ والحكمُ يوم القيامةِ، ولا يكونُ لهُ الحكمُ والملكُ في هذه الدنيا؟ ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾ [النجم: 22].

البعضُ يقولُ: بلِ اللهُ هوَ المَلِكُ في الآخرة، المالكُ في الآخرة، ولكنّهُ في دنياهُ قالَ: دَعْ ما للهِ لله، وما لقيصرَ لقيصرَ، والعياذُ بالله، البعضُ يقولُها جهارًا نهارًا بِلِسانِ المقَالِ، والبعضُ يقولُها بلسانِ الحال والعياذُ بالله. ألم نقرأ قول الله ﷻ: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ [التين: 8]؟ وجاء في الأثر أن نقول: "بلى الله أحكم الحاكمين" ﷻ، وربّ الكعبة حكمُه أفضل من حُكم مجلسِ النُّواب والشَّعب، ولكن البعض يقول إما بلسان الحال وإما بلسان المقال: الله أحكم الحاكمين في أحكام الصلاةِ، في أحكام الزكاةِ، في أحكام الصيامِ، في أحكام الحجِّ، في أحكام العمرة، ولكنّه ليس بأحكمِ الحاكمينَ في أحكام السّياسة والاقتصاد والاجتماع! والعياذ بالله؛ يأخذُ حُكْمَ الغربيّين، حكمَ الكفّار الأصليّين أو المرتدّين والعياذُ بالله، ويُترك حكمُ ربِّ العالمين ﷻ، الله ﷻ يقول: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾

(24) أي قراءة متواترة من القراءات السبع المشهورة.

[المائدة: 50]، لكن لمن؟ (**لِقَوْمٍ يُوْقِنُون**)؛ فالّذيْ يوقِنُ: يَعلمُ علم اليقينِ أنّ أفْضَلَ الأحكامِ، وأوْلى الأحكامِ، وأولَ الأحكام، وأفضلَ الأحكامِ: هو حكمُ الله ﷻ، (**ومَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لقَوْمٍ يُوقِنونَ**)، أما مَن في قلبه زيغٌ، نفاقٌ، مرضٌ، كفرٌ –والعياذ بالله–؛ فلا يعترفُ بهذهِ الحقيقةِ، لا يعترفُ بها لا نُطقًا وتَنْظِيرًا، ولا فِعْلًا وعَمَلًا، يُنْكِرُ ذلكَ ويجحد ذلك، أن الله ﷻ حكمُه محصورٌ فقطْ في الصّلاة والزّكاة، أو أنّ حكْم الله محصورٌ فقطْ في زمنِ الرَّسُول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أمَّا في الأزمان الأخرى، في العصور والدُّهور الأخرى؛ فيقول –والعياذ بالله–: لا يصلح لها حُكم الله! فهذا قد أنكرَ معلومًا من الدِّينِ بالضّرورةِ، قد خالفَ القرآنَ وردّ على الله قوله ﷻ: (**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُون**)، جَعلني اللهُ وإياكم مِن الموقنين.

اللهم أبْرِمْ لهذهِ الأمةِ أمرَ رُشْدٍ؛ يُعَزُّ فيهِ أهلُ طاعتك، ويُذل فيه أهلُ معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروفِ، ويُنهى فيه عن المنكر، ويُحكم فيه بكتابك يا حيّ يا قيّوم، اللهم أظهر عِزَّ الإسلام وأعزَّ المسلمين، اللهم أظهر عز الإسلام وأعز المسلمين، اللهم أنصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، فوق كل أرضٍ وتحت كل سماءٍ، يا حي يا قيوم، وآخر دعوانا: أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين.

1434 هـ - 2013 م